التّناسل النّسقي في الرواية النسوية المعاصرة
رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" لأثير عبد الله النشمي أمثولة.

Pattern reproduction in the contemporary feminist novel.
The novel “I Loved You Too Much” by Atheer Abdullah Al-Nashmi model.

أ.د.متلف آسية

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، metlef.assia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/03/15 تاريخ القبول: 2025/12/17 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

يتلخص مبتغانا في هذا البحث الى استجلاء ذلك التناسل النسقي للأنساق المضمرة التي تتوالد عن بعضها البعض مجسدة مجموعة من الصراعات النسقية الفاعلة والمؤثرة في نص روائي خصب يحمل صفة التوالد والتناسل في معطياته الثقافية والاجتماعية والنّفسية وهي رواية" أحببتك أكثر مما ينبغي "للكاتبة السعودية "أثير عبد الله النشمي."

هي رواية تحمل في طياتها العديد من الأنساق الثقافية المضمرة الناتجة عن صراع بين نسقين؛ النسق الذكوري والهيمنة الاجتماعية، والنسق الأنثوي ومواجهة الاغتراب العاطفي والثقافي وما يحدث بينهما من تجاذب تارة وتنافر تارة أخرى، وحاولنا تلمس محاور ثلاث في هذه الورقة البحثية تتلخص في:

- تحديد أبعاد مصطلح "التناسل الثقافي" ودور التأويل في الكشف عن قابلية الأنساق للتناسل.
- استجلاء صور التوالد النسقي الذّي نتج عن ذلك الصراع بين الآخر الذكوري المهيمن والأنا الأنثوي المهمش في رواية أحببتك أكثر مما ينبغي.
- تمثّلات الأنساق الثقافية المضمرة داخل الرواية في أبعادها الرمزية والثقافية والنفسية.

كلمات مفتاحية: الأنساق المضمرة، التناسل النسقي، النسوية، الرواية المعاصرة.

Abstract:

The purpose of this research is to explore the reproduction of implicit cultural patterns that reproduce from each other, embodying a set of effective and influential relational conflicts in a fertile novel text that bears the characteristic of reproduction and multiplication in its cultural, social and psychological data, namely the novel “I loved you too much” by the Saudi writer Atheer Abdullah Al-Nashmi.

It is a novel that carries in its folds many implicit cultural patterns resulting from a conflict between two patterns; the male pattern and social domination, and the female pattern and facing emotional and cultural alienation and what occurs between them of attraction at times and repulsion at other times, and we tried to touch three axes in this research paper, summarized in:
- Defining the dimensions of the term "cultural reproduction" and the role of hermeneutics in revealing the reproducibility of patterns.
- Exploring the forms of cultural reproduction that resulted from the conflict between the dominant male other and the marginalized female ego in the novel I Loved You Too Much.
- Representations of implicit cultural patterns within the novel in its symbolic\
, cultural, and psychological dimensions.
Keywords: Underlying Structure_ Contemporary Novel
pattern reproduction - Contemporary Feminist Novel.

أ.د.متلف آسية، الإيميل: **authorC@mail.com**

مقدمة:

ممّا لا شك فيه أنّ للكتابة النسوية نكهة سردية خاصة في مجال الإبداع الأدبي، ما جعلها تتميز بخصوصية الطرح وأنثوية التيم، فشغلت مكانة متميزة ضمن المشهد الثقافي العربي بسبب ما فتأت تحقّقه المدونة الروائية النسوية من تنام في النصوص وفتنة في الكتابة؛ لذا اتّخذت المرأة العربية من الكتابة وسيلة لإبراز ذاتها ككيان مختلف وإثبات هويتها الأنثوية المتميزة وتحرير نفسها من ذلك النسق الثقافي المهيمن عليها ردحا من الزمن، فقد حاولت كاتبات الرواية استعادة هويتهن الأنثوية عبر فعل الكتابة الذّي يسمح لهن بإعادة تشكيل كيان الأنثى تشكيلا جديدا يتأسس على رؤية جديدة للمرأة والذّي يتم عبر التخييل من خلال اقتراح منطق الذّوات المتكافئة بدلا من المركزية الذكورية وتفكيك قداسة النّص الفحل ورفع الحصانة عليه، فثارت على كل النظم الإجتماعية والأسرية والثقافية والتراثية التي حاولت إقصاءها كذات مختلفة لها خصوصيتها وفكرها وطروحاتها، فحطّمت حواجز الصمت وفق وعي كتابي ورؤية أنثوية تضمن هذه الخصوصية والتّفرد عن القلم الذكوري.

ففي ظل ثقافة يسيط ر على نواميسها الرجل، ومن خلال مرارة تجربة الاقصاء والتهميش الذّي عاشته المرأة، انكفأت على ذاتها تسائلها تحت أقنعة القراءة النقدية الثقافية الكاشفة عن ذلك الصراع الدفين بين أناها والآخر المختلف، ومن النصوص السردية التي دغدغة شغف الدراسة والبحث لدينا رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي للروائية السعودية أثير عبد الله النشمي،هذا النص الأنثوي الذّي يجعلنا نقف عند حافة النهاية في محاولة النّجاة بهذه الثنائية التي تتضام تارة لتشكّل التكامل والتواشج وتتضاد تارة أخرى لتشكّل قوى متصارعة يسعى كل طرف منها للبحث عن خصوصية التشكل في جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والفكرية؛ فطبيعة الدراسة التي نحن بصدد انجازها هي البحث عن تلك الأدوات التي توسلتها أثير عبد الله النشمي لاستنطاق ذاتها والبوح عنها في تصوير الرجل والتعبير بحميمية حينا وبشراسة حينا آخر عن مشاعرها وخلجات عالمها الداخلي من خلال البحث في كل ما هو مضمر خفي.

أولا: الحدود المعرفية لمصطلح "التناسل النسقي" :

في إطار قراءاتنا عن خصوصية تضافر الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية النسوية المعاصرة صادفنا مصطلح نقدي يحمل بعدا دلاليا عميقا في التّعبير عن ذلك التواشج والتضافر الذّي يحدث بين الأنساق الاجتماعية والثّقافية والسياسية فيما بينها لإنتاج دلالي جديد يشي بكل ما هو خفي مستتر،" فالتّناسل النسقي" كما اصطلح عليه الدكتور أحمد المرازيق في دراسته لرائية الأحيمر السعدي قراءة ثقافية تحليلية[1] يشير الى أنّ مفهوم هذا المصطلح لا يتحدّد الاّ بالعودة الى مكونات العملية الابداعية (القارئ،اللّغة،السياق) والتي تمثل في الآن ذاته الأدوات الأساسية في عملية التأويل.

والمقصود بمصطلح "التّناسل الثقافي" الذّي جعلته غرة لناصية بحثي؛ هو ذلك التزاوج بين الأنساق المضمرة داخل النّص الواحد والتي تتوالد من بعضها منجبة نسلا نسقيا ودلاليا جديدا وفق قرائن نصية وروابط لغوية تضفي على النّص جمالا وعمقا وتفتح أمامه أفقا قرائيا متجددا متجاوزا لمعنى الدلالة الأحادية التي تطفو على سطح اللّغة ،بل وتعيد انتاج المخبوء والمستتر داخل النّص ضمن دلالات متوالدة متفتقة عن التناسل النسقي.

لقد نحى التأويل منحى جديدا باعتباره المفكّك الرئيسي لتلك التّرسبات القابعة في قاع النص والتي أسهمت في إنتاج سياقات مضمرة أغفلتها الدراسات البنيوية التي تقوم على استقلالية النص الأدبي و عن السياقات الثقافية المغايرة وعن المقاربات الشمولية لنقده، فقد اهتم التأويل بالتنقيب والبحث عن تلك السياقات التاريخية والثقافية التي أسهمت في إنتاج النص فالدلالة النسقية هي الأصل النظري للكشف والتأويل مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى منها ماهو صريح أو ضمني وكذا التسليم بوجود القيمة الفنية الجمالية وغيرها من القيم النصوصية، فهذه الدّلالات وما يتلبسها من قيم جمالية تلعب أدوارا خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها لعمل عملها التّرويضي الذّي ينتظر من هذا النقد أن يكشفه.[2]

إنّ حدوث التّناسل النسقي في النصوص السردية يدلّ بشكل صريح عن عمق النّص و دلالته وتميزه كخطاب منفتح متقبل للقراءات الكاشفة للأنساق باعتبارها حالة ثقافية ناتجة في الذّهن الاجتماعي والثقافي والنخبوي نستطيع من خلالها الكشف عن درجة تغلغل النسق في خلايا الفعل الثقافي.

ثانيا: تشظي النسق الأنثوي في ظل هيمنة النسق الذكوري :

تكمل هذه االرواية مسار الروايات النسوية التي تتناول قضايا الحب المعقّد وعلاقة المرأة بالرجل مثل أعمال غادة السمان وأحلام مستغانمي إلاّ أنّها تضيف بعدا معاصرا من خلال تناولها موضوعات مثل الاستقلال النفسي في عصر العولمة والهوية الفردية ،وقضايا تهميش التقاليد والقمع الفكري والاسري، كما تمثّل نقدا ضمنيا للصورة المثالية للحب في الثقافة العربية مسلطة الضوء على الحاجة لإعادة صياغة مفهوم العلاقات العاطفية .

تتماشى الرواية مع نسق الروايات النسوية التي تظهر هيمنة السلطة الذكورية على الذّات الأنثوية بدعوى الحـ ب كأداة للهيمنة العاطفية، إذ تستمد قوتها كنص إبداعي من خلال ذلك التواشج للأنساق المضمرة داخلها والمتصارعة فيما بينها نفسيا ووجوديا وأخلاقيا وثقافيا .

نسجت "أثير عبد الله النشمي" خيوط روايتها على سنفونية الحب والألم والرضوخ والتّمرد في محاولة الخلاص من حب لعين أتلف تلابيب قلبها وأطفأ بريق العطاء في ذاتها ، فقد أبدعت الروائية

في نقل تلك المشاعر المتضاربة والمتناقضة التي تختلج ذات "جمانة" البطلة وذلك الألم الداخلي الذّي يؤكد لها في كل مرة صعوبة استمرار حبها لعبد العزيز "...**لكنّني أجلس اليوم في جوارك أندب أحلامي الحمقى غارقة في حبي لك ولا قدرة لي على انتشال بقايا أحلامي من بين حطامك...**"[3].

تمثّل جمانة الشخصية الرئيسية في الرواية وهي طالبة سعودية سافرت الى كندا لأجل الدراسة فصادفتها الأقدار بطالب سعودي يدعى "عبد العزيز" هو شاب نرجسي متعطش لملذّات الحياة متناقض في اختياراته وفي حبه لجمانة ولوطنه، فكانت نظرته لجمانة نظرة اشتياق وانتماء لأنّها تمثّل وطنه الذي غادره؛بيد أنّ هذه الصورة سرعان ما تتبدد ملامحها فيعبر عن تمرده ورفضه لكل ما يربطه بهذا الوطن وحتى بجمانة، فقد تولّدت علاقتهما من رحم عشق مرصع بالألم مفجوع بالفقدان والتّخلي تقول جمانة في بداية الرواية " **أحببتك أكثر مما ينبغي،وأحببتني أقل ما أستحق**"[4] وبذات المقطع أنهت روايتها في الصفحة لتجسد خضوع ذاتها لهذا الحب الذّي ألغى وجودها في فكرة عدم تحققه.

حملت الرواية في طياتها عالما مفتوحا مفجوعا بالألم والمآسي عبرت من خلاله على تيمة الحب والوجع الانثوي في ظل تسلط الرجل "عبد العزيز"،هي رواية تحمل في ثناياها معادلة متناقضة الاطراف يصعب تفكيك شفراتها الحميمية وحسها بالذّات وانكساراتها في ظل سيطرة الآخر، فتوغلت الرواية في أزقة الغربة المظلمة لدى جمانة والمضيئة لدى عبد العزيز.

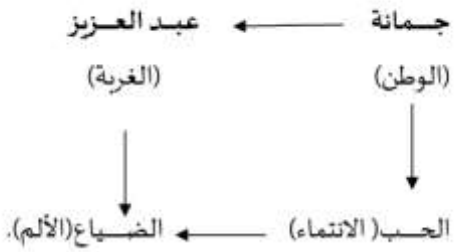
إختارت أثير عبد الله النشمي عنوانا دلاليا مكثّفا رصعت به ناصية روايتها،يشي منذ الوهلة الأولى بعنفوان الحب وذلك باستخدامها صيغة التفضيل "أفعل" للدلالة على المبالغة في الحب الذي غدا مدمرا لها ولذاتها ،وكما أشار الناقد تغريد عبد الخالق هادي سبع بأنّ العنوان مثقل بالدّلالات أبرزها صلاحيته لأن يكون مثلا نظرا للتكثيف الشعري داخله، فضلا عن صلاحيته لأن يكون جملة جاهزة للرسائل الالكترونية التي يتبادلها المحبون عادة وكأنّها حال كل نساء الشرق في مقابل الآخر (الرجل) بمختلف انتماءاته[5]،ولعل اتصافه بالقصر والدلالة هو ما يجذب القراء نحوه بل ما يثير رغبة القراءة ومعرفة مصير المحب في هذا العمل.

حاولت جمانة رسم صورة "عبد العزيز"في لوحتين متناقضتين تتشكلاّن لتثبت هي نفسها كذات أنثوية فالعلاقة بينها وبين الآخر عبد العزيز إنّما مردها (هو) فالانكسار هو من يوجده والسعادة هو من يحقّقها،فكأنّما لا حديث عن الأنا /جمانة إلاّ بوجود الآخر/عبد العزيز، وعلى هذا الأساس يتشعب مفهوم الآخر/الرجل ويتسع ليشمل حمولات فكرية تتشابك في علاقتها مع الذّات فالآخر في أبسط صورة هو نقيض الذّات أو "أنا" إذ لا يمكن الحديث عن الآخر بمعزل الذّات[6] و هذا ما نتلمس خيوطه في الرواية فلا تتردد جمانة وفي أكثر من موضع في الرواية لتثبت بأنّ عبد العزيز هو فرحتها وآلامها تقول في الصفحة الأخيرة من الرواية " **أشعر وكأنّك تخنقني بيدك القوية يا عزيزتخنقني وأنت تبكي حبا..لا أدري لماذا تتركني عالقة بين السماء والأرض ..**

لكنني أدرك بأنك تسكن أطرافي ..وبأنّك(عزيز) كما كنت..

(أحببتك أكثر مما ينبغي ،وأحببتني أقل مما أستحق ...

لن تنتهي...)[7]



إنّ المجال الخصب لتحقّق تناسل الانساق إنّما يتحدد في توافر التضاد الذّي ينشأ عبر التغاير والاختلاف بنية تقوم على ثنائيات ضدية تنبع من التّمايز بين عنصرين أساسيين الوطن/الغربة- الحب/ الألم –الأنا/الآخر- المركز /الهامش فالصراع داخل الرواية بين الذّات في تشكلها العاطفي والأخلاقي وفي وتواجدها الهامشي(جمانة) وبين الآخر في تشكّله السلطوي والفكري المنفتح ومركزيته (عبد العزيز) قابل لأن يتولد عنه صراع اجتماعي وثقافي بين المركز والهامش كالتّمسك بالعادات والتقاليد والالتزام بالقيم والانفتاح على الحداثة والعولمة؛وهذا ما يظهر في جمانة التي تتبنى قناعات متضادة وتعيش صراعات متضاربة حين تريد التّمسك بالحب وممارسته وفي الآن ذاته تود

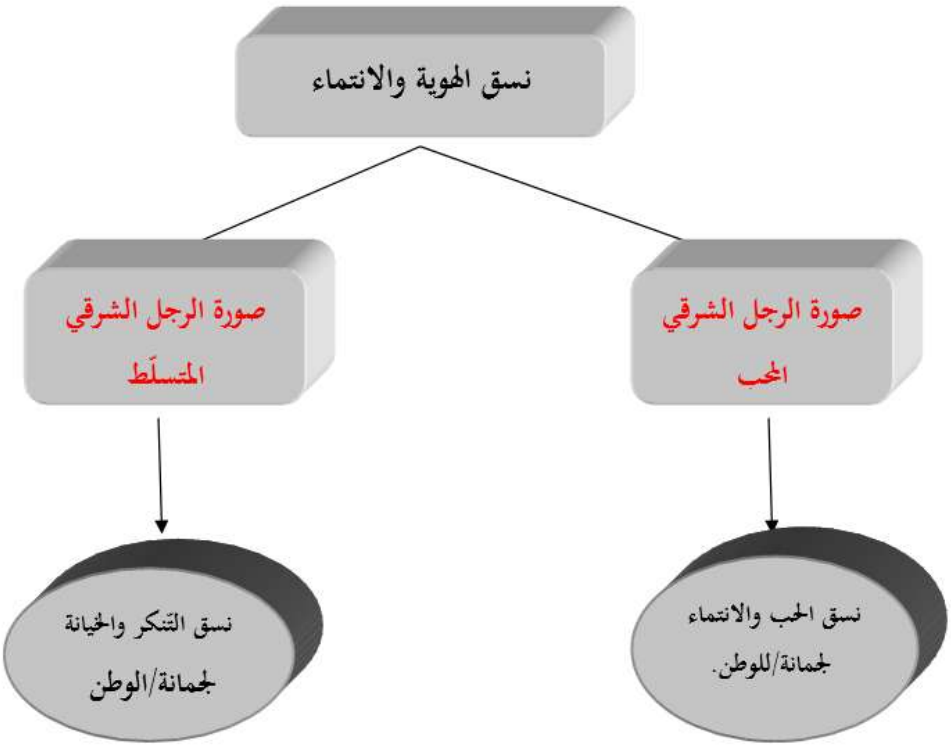
الالتزام بتقاليد المجتمع هذا من جهة ومن جهة ثانية تحاول جمانة تحقيق الحرية الذاتية ورغبتها في التحرر من قيود الحب غير المتوازن وواقعها الاجتماعي الذّي يفرض على المرأة الصبر وتحمل العواقب ويبرز هذا الصراع نسقا مألوفا في الأدب النسوي الذّي يتناول قضايا الهوية الذّاتية والاختيار الشخصي، وهذا بالاضافة الى ذلك الصراع الاجتماعي بين طبقات المجتمع إذ تحمل الرواية إشارات ضمنية تظهر اختلاف المكانة الاجتماعية والثقافية ما يؤثر على تفاعل الشخصيات مع بعضها البعض.

والملفت للانتباه ذكاء الكاتبة في استخدام ضمير المتكلم لسرد أحداث روايتها فهذا الضمير يخلق شيئا من الحميمية بين القارئ والراوي إذ يتوهم قارئ الرواية بأنّه يقرأ بوحا ذاتيا أو قصة لشخص ما يعرفه،إذ يمح ضمير المخاطب للكاتب بالهيمنة عليها ورصدها ،فشخصية الراوي(جمانة) هي شخصية مراقبة وراصدة، يرى القارئ من خلالها الأحداث كونها شخصية مشاركة فيه وتدور حولها العقدة والصراع تقول جمانة **"تظن أنت بأنّنا قادرون على أن نبتدئ من جديد ...لكن البدايات الجديدة ما هي إلاّكذبة...كذبة نكذبها ونصدقها لنخلق أملا جديدا يضيء لنا العتمة؛فادعاء إمكانية بدء حياة جديدة ليس سوى مخدر نحقن به أنفسنا لتسكن آلامنا ونرتاح**[8] "؛ بدأت البطلة سرد أحداث قصتها بفيض شعوري يعكس قصة حب منتهية وهو نص استذكاري ممهد لما سيأتي بعد ذلك تقول:" **بت الآن لا أحلم إلاّ بالانتهاء مما يجري ..أكذب عليك إن قلت بأنني لا أرجو سحقك ..لكنّني منهكة الى درجة أكاد فيها غير قادرة على سحق نملة..".**

ثالثا:نسق الانتماء والهوية:

لا شكّ بأنّ التّعدد في الأنساق المضمرة داخل الرواية يبعث شغفا خفيا يدعونا الى تتبع الجمال في الفضاءات المهمشة والبحث عن الحقيقة في الأماكن التي لم تفض بكارتها بعد في النّص، فالبنية الخفية للسرد بمكوناتها المتشبعة تعمل على خلق عالم مواز من المعاني تتخلخل داخله قوى الصراع وتتعدّد الثنائيات ما يؤدي بالضرورة الى تعدّد في الثقافات واختلاف في الرؤى والأفكار وحتى نظم التّعامل.

إنّ التأمل في ثنايا الرواية يتجلى أمامه هيمنة الشخصية الذكورية البطلة وهي "عبد العزيز" التي حاولت الروائية أثير عبد الله النشمي تقديمها على لسان جمانة وبعدة طرق فتصورها في منعرجات عدة (الرجل المحب)و(الرجل المتسلط)،وفي الحين ذاته ارتكزت على مفهوم الحرية والانتماء عند كلا الشخصيتين جمانة وعزيز وهنا يكمن مربط الفرس إذ ينبثق معنى جديد يزلزل مفاهيم المركز والهامش:



أ- نسق التّنكر والخذلان للآخر الانثوي/الوطن:

أبدعت الروائية في نقل صورة الرجل الشرقي المتسلّط المضطرب في تكوينه الثّقافي وانتمائه الاجتماعي المفتون بالآخر الغربي ومجتمعه وثقافته المحب للسهر والمجون، الثائر على عادات وتقاليد المجتمع السعودي المنغلق،على عكس جمانة المحبة للوطن بعدّه الهوية والانتماء فقد حدّدت أول لقاء لهما في الثالث والعشرين من سبتمبر وهو العيد الوطني السعودي،فكأنّها بحديثها عن الوطن تؤكد

انتماءها فجل النصوص الروائية النسوية تستحضر الوطن كقيمة فاعلة ذات أبعاد متشعبة هي المؤسسة للنص ؛ فالكتابة عن الوطن تحدّد الانتماء والهوية حتى وإن كانت صورته تحمل نوعا من الخيبات وغياب بعض القيم[9] ،إلاّ أنّ عبد العزيز لا يكترث بهذا فيتضح رفضه وتمرده الصريح ضد وطنه ففي حوار جمانة مع عبد العزيز تتجلى بعض صور التخلي والخذلان للوطن من طرف عبد العزيز والتّمسك بالهوية والانتماء له من طرف جمانة:

"...أتفتقدين وطنا يقمعك؟

أجبتك بالعربية،أيفتقدك وطن تخجل منه..؟

ابتسمت:أنت سريعة البديهة.. !

قلت لك بلا مبالاة :وأنت جاحد..

تجاهلتني:كيف عرفت أنني عربي؟..سألتك بالانجليزية..

أشرت الى الكتاب العربي الذي كنت تقرأه ..بدون أن أنطق ..لم أخبرك بأنّ ملامحك عربية للغاية.." [10]

تمثّل التوليفة اللغوية "**أتفتقدين وطنا يقمعك**" جملة ثقافية تحمل من التشظي وعدم الانتماء ما يوضح ملامح هذا الشاب الذّي يعيش تناقضا نفسيا واجتماعيا وثقافيا؛ فحبه لجمانة ولطهرها لأنّها من وطنه الذّي لا يحبه ليمارس عليها نوعا من السلطة هي سلطة الرجل الشرقي المتعصب في القمع والاذلال لذا فهو يخاف أن يخسرها ويخاف أن يرتبط بها، ويخاف أن تتركه ،كما يخاف أن يهجر حريته[11]، بل هو يحبها كما يريد وهذا ما يظهر جليا على لسانه " **أريدك أن تفهمي أمرا واحدا فقط ...أنا أحبك بطريقتي ، قد لا تروق لك لكنّها طريقتي ...**

قلت لك : No Comment

أحسن ![12]

إنّ تكوين شخصية عبد العزيز الذّي حدّدت ملامحه أثير عبد الله النشمي واخترقت به عالم المتخيل يأبى في كل مرة أن يكون وفيا أو حتى يرفض العودة الى الوطن فهو يتنكّر له ولذاته ولحبه

فلا يتردد في كل مرة وفي مواضع متعددة في الرواية للاشارة لهذا الموقف تقول جمانة لعزيز في إحدى صفحات الرواية:

"سألتك :أترى كم هي رقيقة مدينتنا؟

قلت لي بسخرية: والله ما أشوف إلاّ غبار !..انكتم صدري !..

صحت فيك بغضب:ولد !

قلت وأنت تضحك: والله انني صادق !...تبيني أكذب عليك وأقلك إيه شايف وأنا ما أشوف إلاّ غبار؟..."[13].

فلعل جمانة هي الشخصية الوحيدة التي كانت تفهم عبد العزيز وترسم تفاصيل دواخله بدقة شديدة تقول في ذات السياق " **أعرف أنّ رجلا مثلك لن يتمكن من أن يكمل حياته في مدينة كمدينتنا ،أعر ف أنّك لن تعيش فيها ...ولا حتى قريبا منها..تخنقك الرياض يا عزيز، تخنقك الرياض ومن فيها"**[14] ولعل المفارقة بين شخصية جمانة وعبد العزيز تكمن في الانتماء فجمانة لا تهمها الأرض التي ستعيش فيها مع عزيز لأنّه يمثل لها الوطن والاستقرار والسند والسكينة على الرغم بتمسكها الشديد بوطنها الرياض وحبها لها **"لكنّني أحبها يا عزيز ..أحبها !.. المدينة الأقسى التي لا تضاهيها في قسوتها مدينة أخرى على اتساع هذا الكون..مدينة خلقت في نفسي طهرا وحبا وطيبة ..ولم تخلق في أعماقك سوى القسوة، مدينة جعلت مني امرأ؟ة هشة، يكسرها أي شيء، وجعلت منك رجلا صلبا يحطم كل شيء !خلقت لدي الطهر ليلوثني عهرك وخلقت فيك الكره لينهار أمامه حبي .."**.[15]

وفي الحوار ذاته الذّي دار بين جمانة وعبد العزيز يمحي هذا الأخير كل ذكريات مدينته ووطنه فلا يجد مشكلة في الارتباط بامرأة أجنبية غربية، لأنّه غير ملتزم للإخلاص لها فهي تمثّل مجتمعا يستهويه في ممارساته الثقافية والاجتماعية والاخلاقية .تقول جمانة " **ألومك كثيرا على كرهك لمدينة جمعنا هواها في طفولتنا وتلومني كثيرا على دفاعي عنها، أنت الذّي هربت منها تاركا وراءك كل شيء يربطك بها.. وأنا التي أطل عليها بين الحين والآخر لأتأكد أنّها بانتظاري !**

هل ستثأر لي تلك البعيدة .. !؟ وتنصفني من رجل يدعي منها..ولا يحمل في أعماقه شيئا من همومها الكثيرة؟!

سألتك مرة:ألاّ تحمل للرياض شيئا..؟

أجبتني وانت تطعم السمك:نسيت كل شيء كنت أحمله لها في مطارها الدولي.."[16].

فقساوة الرياض وتعصب المجتمع هو من صنع قساوة عبد العزيز وتملّصه من كل شيء يربطه به وتروي جمانة أيضا تفاصيل تمتعه بغصة السمك بعدما رمى لها اللّبان وهي في الحوض بل استمتاعه بذلك فتركيبته الانسانية وقساوة شخصيته جعلت جمانة تغضب منه لأجل السمكة الضعيفة ولاجل مدينة عريقة لا يكترث بها.

يمثّل نسق الانتماء والهوية في تجليا ته اللّغوية السابقة نسقا ضاربا في مفاصل النّص، يمنح للمتلقي فرصة إبرازه في تناسله والأنساق المضمرة الأخرى التي تولّدت عن لحظات إنسانية متفاوتة القوة والضعف إذ يتناوب على جمانة إحساسان متناقضان وبسببهما تقدّم النشمي أفكار ورؤى تسمح بتناسل أنساق متعارضة، فلحظة البوح قد تتناسل ولحظة الصراع وحالة الصراع قد تتناسل الى أنساق ثقافية تعكس قيما متضاربة ويحاول كل طرف منها إظهار إمكاناته لإلغاء الآخر، فقد اختلفت الشخوص في طبائع التفكير وأسلوب التّعاطي مع قضايا بعينها تحدّد مصيرهم بيد أنّ كل منهم يفكر في طريقة مختلفة فهي تؤمن بقانون الانتماء والاحتفاظ بالهوية بعكس عزيز

وبناء على تباين فكر كل من جمانة وعبد العزيز تتغير نواميس ثنائية الهامشي والمركزي، لكون جمانة قد مثّلت الوطن /عزيز مثّل الغربة،فبعدما كان عبد العزيز نسقا مركزيا فقد فقد أهميته لكونه استطاع أن يخلخل تما سك الوحدة والوطن فاستباح وطنه وتعلّق بغربته ومن هنا بات الهامشي مركزيا والمركزي هامشيا.

ب– نسق الحب والانتماء للآخر الأنثوي/الوطن:

لعل محاولة كشف العلاقة التي تربط صانع الرواية وشخصياتها تجعلنا أمام جدل قائم بين الحقيقة الواقعية والمتخيل السردي الما تواجد في ثنايا الرواية والمحرك لأحداثها فإذا أردنا كشف صورة عبد العزيز الشاب السعودي حبيب جمانة نصطدم بأثير عبد الله النشمي ومحاولة نقلها للمرجعيات

الثقافية التي تريد التعبير عنها وتمريرها عبر هذه الشخوص التي صنعتها هي ولقنّتها ما تقول محاولة تفجير خصوصية الرجل الشرقي المحب لأرضه وانتمائه والمتنكر لهما في آن واحد ،فعلى الرغم من كونها- الشخصيات- كائنات من ورق تقف بين المتخيل والواقع إلاّ أنّها تنبثق من سياق ثقافي واجتماعي يحمل سؤال الهوية والانتماء.

والجدير بالذكر أنّ جمانة إختارت طريقة سردية متميزة لتقديم نفسها فقد أوكلت هذه المهمة لعبد العزيز بحيث انعكست صورة حبيبته في كتاباته الأدبية فيقول:"**حبيبتي بدوية لا تعرف طعم القهوة! ولا تأكل من نعمات (البحر) شيئا ...تسكن بـ(صوت المطر) وتخاف من غضب الرعد فتنكمش في فراشها في كل ليلة يغضب فيها الرعد راجية إياي أن أظّل معها على الهاتف لأنّها...(مشتاقة إلي) !**"[17] فكان تقديمه لها فنيا رومانسيا ولكنّه سرعان ما أخذ بعدا نفسا واجتماعيا أعمق يقول في الصفحة ذاتها "**ترغب بإنجاب ثلاثة أطفال وتوأم (مني)،من أنصار المرسيدس) على الرغم من أنّها تخشى السرعة ،تعاني من(فوبيا) الأماكن المرتفعة وتوترها المناسبات (المكتضة) بالناس تظن بأنّ الاسود يجعلها أجمل،بينما تبدو برأيي كحلم ملائكي بفستان أبيض اللون...تفضل من الأزهار الزئبق...تؤمن بحب فعلي بحت، تنشد الأقوال مثلما تنشد الأفعال،لذا أنا أقول!..هذه المرة أقول وأعرف بأنّني لم أكن أقول ولم أكن أفعل..فهل تعيد النظر..؟!**" إنّ تقديم عبد العزيز لجمانة في أدق تفاصيل تكوينها الاجنماعي والثقافي إنّما دليل صارخ عن حبه لها ومعرفته بها وبأحلامها وتطلعاتها وحتى بحبها له.

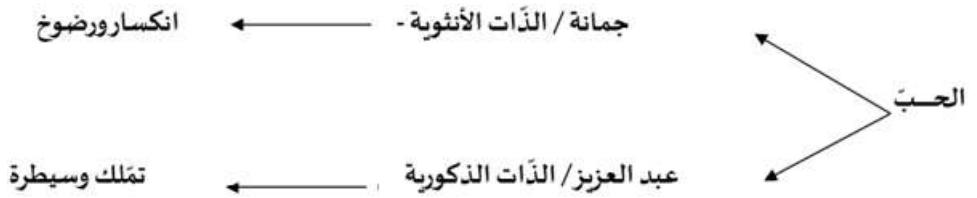
وسنحاول في هذه الجزئية تتبع صورة عبد العزيز الرجل المحب الذي يعشق اللجوء الى أحضان وطنه وحبيبته وكيف يتشكّل ذلك الهوس بالاستقرار والانتماء.ولعلّنا في هذا سنركز على فعلي "**البكاء" والتعري"** واللّذان يأخذان بعدا نفسيا عميقا في تكوين شخصية عبد العزيز ، تقول جمانة في الرواية "**ضحكت بقوة، ودموعك لا تزال على خديك فمسحتهما بيدي.. قلت مبتسما: لة تعرفين كم من المريح أن أبكي أمامك !.هذه العقدة الشرقية الوحيدة التي عتقك الرب منها! أبشرك ..هي عقدة من عقدي!..ما زلت أرى في بكاء تالرجل بشكل علني ضعفا لا يقبل..ما بالك ان بكى أمام امرأة؟**

ولماذا تبكي أمامي ان كنت ترى في بكائك ضعفا؟!
لأنّك حبيبتي..."[18]

يتجلى لنا في مقاطع سابقة ولاحقة لهذا المقطع السردي سبب بكاء عزيز وهو خوفه الشديد من فقدان جمانة وفراقها وما بكاء الرجل أمام حبيبته إلاّ تطهير لذاته وكشف عن تخوفاته من الحياة معها أو حتى بدونها إذ نتلمس سبب بكاء عزيز في قوله"أتدرين ما الاكثر وجعا يا جمانة ؟!..**أن أشهد على حزنك علي،أن أراك كل ليلة وانت تنتحبين وحيدة في فراشك ،أن أراقبك وأنت تقرأين رسائلي وأنت تتأملين صوري القديمة ..أن تديري التسجيل لتستمعي الى الشريط الذّي سجلت به بعض الأغاني بصوتي! .. لا قدرة على تصور الألم الذّي سأشعر به وأنت تفعلين!**
...قلت من بين دموعك: أعرف أنّني عذّبتك في حياتي ..لا أحتمل فكرة أن يعذّبك غيابي وموتي أيضا يا جمانة..
قلت لك وقد دمعت عيناي :إعتني بي إذا.. !..أنت وجع قلبي!...

إنّ المتأمل فيما قاله عزيز يتضح له معالم شخصية نرجسية منتصرة لذاتها لها حب تملك الطرف الآخر الذّي يراه ضعيفا لا يمكنه الحياة بدونه والسيطرة حتى في المشاعر الانسانية فهو يستبعد أن تعيش جمانةحياة عادية بدونه وهذا أيضا ما يؤكد ضعف الطرف الثاني "جمانة" واستسلامه رغم احساسه بصعوبة تحقق هذا الحب.

فقد حاولت أثير عبد الله النشمي نقل صورة الرجل الشرقي النرجسي المحب والخائن والمتسلط في آن واحد ،من خلال تصويرها لشخصية عبد العزيز لتأكد فكرة امتلاكه لجمانة كذات أنثوية ضعيفة خاضعة مستسلمة لمركزية الرجل، فحب جمانة له هو ما أدخلها في قفص حديدي يصعب الفرار منه تقول :"**تظن أنت بأنّني أذكى من أن يسعدني رجل..وأظن أنا بأنّني أغبى من أن أدّعي الغباء فأسعد معه! كان من الخطأ أن أبتدئ حياة عاطفية مع رجل خبير ...لكنّني لم أختر قدري معك ..كنت قليلة خبرة ،غرة وطاهرة ،قبل أن يلوثني هذا الحب ...**"، لتختلف بعدها صورة الحب عند جمانة وعبد العزيز "**تظن بأنّ الحب يط هرنا وأظن أنا بأنّه يلوثنا ويشوهنا في أغلب حالاته....**"[19]



إنّ حب عبد العزيز لجمانة حبٌّ صنع هو تفاصيله فكان هو المسيطر على مقاليده، أما جمانة فأرادها أن تكون جارية له وفي مملكته وسلطانه يقول عبد العزيز:"**جمانة اسمعي ..أنا رجل لعوب..اشربوأعربد وأعاشر النساء..لكنني أعود إليك في كل مرة ..جمانة هذا أنا..عرفتك في الثلاثين من عمري ..فات وقت التغيير يا جمانة..لا أستطيع أن أتغير..أحبك أنت ..أرغب بك أنت..لكنّني لا أتغير.. ولم تتغير..**"[20]، يحمل فعل الحب هنا بعدا نفسيا وثقافيا يمجد مركزية الرجل ويلغي ذات المرأة بكل تفاصيلها ففي ظل تعبيره عن حبه لها لا يخف رغبته القوية في كسرها والسيطرة عليها تقول جمانة في حوارها مع عزيز:

" **أنهكتني ..أنهكتني كثيرا يا عزيز.. !..**

قلت لك مرة أنت تنهكني..أشعر وكأنّني في مخاض طويل..

أجبتني واثقا:سيأبى رحمك أن يلفظني يا جمان..فلا تحاولي!.."[21]

ومن الأفعال التي جسدت حب عبد العزيز لجمانة أيضا هو **فعل التّعري** الذّي أخذ معنى التطهير والتكفير عن الذنب ، فقد عشقت جمانة عري عبد العزيز من كل شيئ لما في ذلك من صفاء لذاته وتعبيرا عما بداخله والبوح عن مشاعر حقيقية لم يتجرأ للبوح بها لأحد فهذا العري كما أشارت جمانة ينقيه ويجعلها تمتلكه ولو للحظات تقول " **كان عريك ليلتها أطهر عري يا عزيز..لو تدري كم أحببت عريك وتعريك أمامي..أشعر أحيانا بأنّ ما يسترك هو ما يعيبك وما يجعلك حالكا ...تغطي نفسك بمظهر عابث ،غير مبال ..كذبة هنا تغطي عورتك وخدعة هناك تستر ما بقي من جسدك المكشوف..أحب عريك لأنّه لا يخفي شيئا ولا يغلفك من بعده شيء!..كم أحب أن تظهر أمامي كالحقيقة!..**"[22]

خـــــاتمة:

أبدعت أثير عبد الله النشمي في ايجاد الصراع المستمر منذ بداية الأحداث والذّي يأخذ طابع مد وجزر في صور ذات أبعاد متناقضة في جميع صورها وهذا ما يزيد من احتدام المشاعر الحب/التجاهل-الانتماء الى الوطن/التنكر له- الوفاء والاخلاص /الخيانة.

والمثير للقراءة والتحليل في ثنايا الرواية هو ما عمدت الروائية الى تجسيده من خلال تفكيك مفاهيم السلطة المهيمنة وفتح أبواب جديدة لفهم الهوية بشكل أعمق، أي إعادة بناء هوية ثقافية من خلال تجارب الافراد ،حيث يتضح بأن الهوية ليست ثابتة ،بل هي نتاج ديناميكي يتشكّل عبر الصراعات والتّحدّيات، ما يجعلنا كقراء نتمعن في فكلرة مقاومة الذّات المهمشة للسلطة المهيمنة وإعادة التفكير في المفاهيم الثقافية.، وهذا ما حدث مع شخصية ذات أبعاد متناقضة كشخصية عبد العزيز في الرواية ليست بالأمر الهين وخاصة إذا كانت شخصية شرقية جامحة تنتمي الى مجتمع منغلق في عاداته وتقاليده ومفهومه الايديولوجي الذّي يحصر معنى الحب في الحب والامتلاك والسيطرة، فقد حاولت أثير عبد الله النشمي نقل صورة الرجل وتمثّلاتها على الصعيدين الاجتماعي والثقافي .

عمل النّسق الذكوري داخل الرواية جنبا الى جنب والنسق الأنثوي ما أضفى بعدا دلاليا متفردا، فكلاهما تعاضدا وتساندا لخدمة الحدث، فقد كانت الحبكة الفنية التي نسجت من خلالها عبد الله النشمي في رسم صور التناسل الثقافي والفكري للأنساق داخل الرواية ما جعلها متميزة في بنائها وتركيبها إذ استطاعت من خلاله ايصال هذا الدفق الشعوري من امرأة شرقية محبة حد الفناء اتجاه رجل متسلط عاطفيا يعيش وهم امتلاك كل شيء ولكنّه وفي الحقيقة لا يمتلك شيئا .ونشير الى أنّ تميز هذا النص إنّما مرجعه تجاوز السائد والمألوف في النصوص الروائية التقليدية بحيث عمدت أثير عبد الله النشمي إلى إدخال بعض من آليات التجريب على مستوى الشكل والمضمون التي كان فيها الانتقال بالتيمات من المركز إلى الهامش حيث تناولت قضية البوح الأنثوي المتمرد على الهيمنة الـ ذكورية وأشكال القهر المعنوي الذّي عاشته جمانة البطلة .

قائمة المصادر والمراجع:

1-عبد الله النشمي، أثير. أحببتك أكثر مما ينبغي، بيروت، لبنان. دار الفرابي ، ط11، تشرين الأول، 2013.

2-عبد الله الغذامي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 03 ، 2005.

3- سلمي، الوافي. " المثاقفة النقدية وسؤال الهوية تفاعل الذّات بالآخر"، مجلة الآداب. ،العدد 02. 2014، جامعة الملك سعود، الرياض.

4-عبد الخالق الهادي سبع، تغريد. "الشخصية في رواية أحببتك أكثر مما ينبغي"، مجلة كلية التربية اللعلوم الانسانية –ابن رشد، ،جامعة بغداد، المجلد 21،العدد 19، 2015.

5- آسية، متلف. ملامح البوح وتشظي الذّات الانثوية في مواجهة الآخر رواية سأقذف نفسي أمامك "لديهية لويز أنموذجا،كتاب جماعي "الرواية النسوية المعاصرة في الجزائر النص والتأويل،. ط01،الجزائر، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة

هوامش البحث:

[1]- ينظر: مجلة الآداب المستنصرية المجلد47،العدد101 لسنة2023 .

[2]- ينظر: عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي،قراءة في الانساق الثقافية العربية، ص 78

[3]- أثير عبدالله النشمي،أحببتك أكثر مما ينبغي، ط10، بيروت ،لبنان ،دار الفرابي، تشرين الاول 2013، ص11

[4]- الرواية ص326

[5]- ينظر: عبد الخالق هادي سبع ،د. تغريد، الشخصية في رواية أحببتك أكثر مما ينبغي ، **مجلة كلية التربية اللعلوم الانسانية –ابن رشد،** ،جامعة بغداد، 2015، المجلد 21، العدد 19.

[6]- سلمي، .الوافي ، المثاقفة النقدية وسؤال الهوية تفاعل الذّات بالآخر، **مجلة الآداب** ،، جامعة الملك سعود، الرياض 2014العدد 02، ص:04.

[7]- الرواية ص326

[8]- الرواية ص11

[9]- آسية، متلف. ملامح البوح وتشظي الذّات الانثوية في مواجهة الآخر رواية سأقذف نفسي أمامك "لديهية لويز أنموذجا،كتاب جماعي "الرواية النسوية المعاصرة في الجزائر النص والتأويل،. ط01،الجزائر، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة.

[10]-الرواية ص17

[11]- ينظر: عبد الخالق الهادي سبع، تغريد "**الشخصية في رواية أحببتك أكثر مما ينبغي**"، ص:162.

[12]- الرواية ص34.

[13]-الرواية ص:205

[14]- الرواية ص:207

[15]- الرواية ص:207

[16]-الصفحة نفسها

[17]-الرواية ص 118

[18]- الرواية ص214

[19]- الرواية ص290

[20]- الرواية ص23.

[21]- الرواية ص24.

[22]- الرواية ص224-225.